تقرير

شوقي عشقوتي

"ترانسفير" غزّة و"ريفييرا الشرق الأوسط" ترامب يدفن حلّ الدولتين ويخلط أوراق الصراع

عندما توجه رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو الى واشنطن ليكون اول الواصلين من قادة العالم الى البيت الابيض للقاء الرئيس دونالد ترامب في مستهل ولايته الثانية، حمل معه لائحة مطالب تضمنت عنوانين ومشروعين للعام 2025 ومرحلة ما بعد حرب غزة: الضفة الغربية ومشروع الضم وتوسع الاستيطان، وايران ومشروع احتواء خطرها النووي والاقليمي

لكن رئيس الوزراء الاسرائيلي فوجئ بأن الاولوية هي لغزة، وان الرئيس الاميركي اعد مشروعا للترحيل والسيطرة لم يخطر على بال احد. فقد اطاح دونالد ترامب بكل خطط وافكار الادارة السابقة في شأن غزة ووضعها جانبا. ادارة سلفه جو بايدن كانت تقترح خطة لـ"اليوم التالي" للحرب في غزة تقوم على انسحاب اسرائيلي من القطاع وقيام هيكلية جديدة بقيادة السلطة الفلسطينية (بعد اصلاحها) ومد نفوذها الى غزة، على ان تساعدها قوة امنية عربية بالتعاون والتشاور مع الاميركيين الذين لن ينشروا قوات في القطاع، على ان يكون ذلك مثابة تمهيد لعملية اعادة الاعمار وانطلاق عملية التطبيع بين السعودية واسرائيل.

خطة ترامب تشكل انقلابا كاملا على كل هذه العملية السياسية المصممة بعناية. ما يقترحه في اعلان مفاجئ جمع بين الجرأة والوقاحة، والطموح والاستفزاز، استيلاء الولايات المتحدة على قطاع غزة، بعد اخلائه من سكانه الفلسطينيين، على ان يتم توطينهم في دول اخرى مثل الاردن ومصر ودول اقليمية واسلامية. وبعد فتح باب الهجرة الطوعية للفلسطينيين تحت ذريعة تحسين ظروفهم الانسانية، تبدأ عملية اعادة بناء غزة وتحويل هذا الموقع المطل على البحر الى "ريفييرا الشرق الاوسط". كما يجري التخطيط لإقامة عمارات شاهقة بارتفاع نحو 50 طابقا، واقامة مجموعة فنادق حديثة على الشاطئ، وتحويل انفاق حماس الى انفاق لخطوط سكك الحديد وشبكة قطارات يمكن ان تمتد حتى مصر والاردن والسعودية والضفة الغربية. ويقدر واضعو الخطة ان تستغرق عملية اعادة الاعمار ما بين 10 و15 عاما، بعدما تسبقها عملية افراغ الردم الضخم ومعالجته بشكل مهني طيلة 5 سنوات، كما يتوقعون ان يبادر القطاع الخاص الاسرائيلي الى اقامة شراكات عربية وفلسطينية في هذا المشروع.

ذهب ترامب ابعد بكثير مما يحلم نتنياهو وشركاؤه من اليمين المتطرف، وعاد نتنياهو من اميركا بانتصار سياسي وشخصي، ولن يكون ملزما بعد اقتراح التهجير، بالانتقال التلقائي الى المرحلة الثانية من اتفاق وقف النار، لان ترامب خلط اوراق الصراع، ودفن حل الدولتين الذي كانت تؤيده ادارات اميركية سابقة، وينادي به الاتحاد الاوروبي وروسيا والصين والامم المتحدة. على الارجح، سيعمد نتنياهو الى تصعيد شروطه للقبول بالانتقال الى المرحلة الثانية، على غرار ان توافق حماس على التخلي عن حكم غزة وانتقال قادتها الى الخارج.

رغم ان اليمين الاسرائيلي يرقص مزهوا بخطة ترامب لتهجير اهل غزة، ويطمح الى اعداد مشاريع ترحيل شبيهة في الضفة الغربية، ورغم ان استطلاعا للرأي اجرته القناة 13 الاسرائيلية اظهر ان 72% من الاسرائيليين يؤيدون الطرح الاميركي، تظهر علامات الارتباك داخل اسرائيل: من جهة، هناك شكوك بإمكان نجاح وتطبيق هذه الخطة، التي وصفها ايهود باراك بـ"الخيال" وبالون اختبار، ورأى فيها كثيرون في اسرائيل اقتراحا غير جدي يدل على ان ترامب لا يفهم النزاع الاسرائيلي ـ الفلسطيني وجذوره وتطوراته على مدى سنوات. من جهة ثانية، ورغم القناعة المتنامية بأن خطة ترامب لترحيل 1.8 مليون فلسطيني من قطاع غزة الى الخارج غير واقعية وغير قابلة للتطبيق، تسعى جهات سياسية وعسكرية في اسرائيل الى اعداد برامج واجراءات عملية لشرعنتها وتطبيقها. وبطلب من الحكومة، باشر الجيش وضع خطة عمل تقضي بإعداد ميناء اسدود البحري ومطار رامون الجوي والمعابر البرية لترحيل الوف الفلسطينيين بالتدريج، مع وضع شروط تضمن عدم عودتهم مثل "حظر عودة من لا يوقع على تعهد برفض الارهاب". اما في وزارة المال، فيتدارسون امكان تخصيص ميزانية لتغطية نفقات الترحيل، بما في ذلك رصد اموال تعويضات لمن يوافق على الرحيل، شرط التعهد بالتنازل عن حق العودة.

كل الدلائل اليوم تشير الى ان ترامب مصمم على انهاء المهمة التي بدأها في ولايته الاولى: ضم السعودية وباقي الدول العربية، التي لم تطبّع بعد، الى اتفاقات ابراهام. وانه مصمم كذلك على تنفيذ ذلك وفق رؤيته الشخصية التي

> **خطة ترامب تشكل انقلابا كاملا على خطة بايدن وتجمع بين الجرأة والوقاحة**

تقول: "مصلحة اسرائيل اولا.. ولو على حساب الفلسطينيين". فالرئيس الاميركي، وكما كان في ولايته الاولى، مقتنع بأن ما يهم القادة العرب اكثر هو اندماج اسرائيل في المنطقة وليس تحقيق العدالة للقضية الفلسطينية.

رد الفعل في العالم العربي طغت عليه علامات الذهول والصدمة، وهناك ميل الى التعاطي مع فكرة ترامب على انها فكرة مجنونة في سياق افكاره التي ازدادت وضوحا وتطرفا في الفترة الاخيرة، وكشفت عن نيات وطموحات توسعية ونزعة الى اعادة رسم خارطة العالم، بدءا من كندا وبنما وغرينلاند، وصولا الى قطاع غزة. لكن الفكرة المجنونة تؤخذ على محمل الجد لأن ترامب يملك القدرة على تحويل افكاره الى واقع، ولديه الاستعداد لاستعمال القوة لتحقيق اهدافه.

القادة العرب لا يصدقون ما يسمعونه من ترامب ويعدونه مثابة وأد للقضية الفلسطينية ودفن لحل الدولتين، كما يعدونه مشروعا غير عملي وغير قابل للتطبيق، بدءا من الرفض القاطع من جانب مصر والاردن لفكرة استقبال الفلسطينيين القادمين من قطاع غزة، وصولا الى رفض الفلسطينيين النهائي والمبدئي للتخلي عن غزة. فما يفوت المخططين لهذا المشروع الذي تبناه ترامب انهم يغفلون امرا مهما واساسيا، وهو ان فكرتهم مصممة بناء على تجارب شعوب تختلف تجاربها وقضيتها وهويتها عن هوية الشعب الفلسطيني الذي لم يناضل لسنوات وعقود، ولم يخض حربا دمرت غزة وكلفته عشرات الالاف من الضحايا والجرحى والمفقودين، ليقبل الان مخطط "الترانسفير" حتى لو كانت المغادرة موقتة لأعوام، وكان الهدف تحويل غزة الى "ريفييرا الشرق الاوسط الجديد".

الاردن هو الدولة الاكثر ارتباكا وضياعا، ولم يجد الملك عبدالله الثاني بعد لقائه "الودي والبناء" مع الرئيس الاميركي في البيت الأبيض، الا التمسك بالعلاقة القوية مع الولايات المتحدة والاشادة بدور ترامب ورغبته في جلب الامن والاستقرار والازدهار للشرق الاوسط. لكن في المقابل اعاد التذكير بثوابت الاردن الرافض لتهجير الفلسطينيين، والمشدد على تحقيق السلام العادل والشامل على اساس حل الدولتين.

الارتباك موجود في مصر، لكن الموقف ما زال تحت السيطرة، والرئيس عبدالفتاح السيسي يتريث في زيارة واشنطن الى حين اعداد خطة لاعادة اعمار غزة من دون ترحيل سكانها، والى حين تجهيز موقف عربي موحد عبر قمة طارئة.

الارتباك موجود ايضا عند تركيا، ويترجم برد فعل خجول من جانب الرئيس رجب طيب اردوغان الذي لا يريد افتعال ازمة مع ترامب في بداية العهد الاميركي الجديد، في ظل مراهنته على توجه ترامب نحو سحب القوات الاميركية من سوريا، ليتسنى له بعد ذلك مهاجمة "وحدات حماية الشعب" الكردية، وهو ما يسعى اليه بالتنسيق مع النظام السوري الجديد بقيادة احمد الشرع.

الرئيس الاميركي "مالئ الدنيا وشاغل الناس". ترامب العائد الى البيت الابيض ليس هو الرجل الذي عرفناه بين 2016 و2020، ولا الشرق الاوسط هو المنطقة التي عرفها الرجل خلال ولايته الرئاسية الاولى. ترامب بات شخصية سياسية متمرسة، تسيطر على الحزب الجمهوري ومفاصل الحكم الاميركي، في لحظة تمثل واحدا من انتصارات الجمهوريين التاريخية، في السياسة الاميركية والدولية. اضافة الى ذلك، انه في ولايته الثانية يبدو مخففا من طموحات اعادة الانتخاب مرة ثالثة، ومنكبا على صناعة ارثه الشخصي والسياسي في اميركا والعالم. وهو ما قد يجعله، خلافا للرئيس الذي عرفناه، اكثر براغماتية في التعامل مع الحلفاء والخصوم على حد سواء، وبالتالي اقل توقعا في خصوص سياساته وتأثيراتها البعيدة المدى.

اما الشرق الاوسط، الذي تأثر عميقا بسياسات ترامب خلال فترته الاولى، فيبدو اليوم اقليما مختلفا تماما عما واجهه سابقا، بفعل تحولات جيوسياسية كبرى، كان اخرها سقوط نظام بشار الاسد في سوريا وما تبعه من انكسار مفاجئ للمشروع الايراني، وتقدم تركي في المشرق العربي، ووصول تنظيم متشدد الى سدة الحكم الانتقالي في سوريا، مع كل ما يعنيه ذلك من اعادة رسم موازين القوى الاقليمية.